obeikandi.com

الفصل الثالث
استعادة العثمانيين لدورهم السياسي حتى فتح القسطنطينية

- محمد الأول وإعادة توحيد الدولة ٨١٤ ـ٨٣٣ هـ / ١٤١٣ ـ ١٤٣١ م
- مراد الثاني ٨٣٣ ـ ٨٥٢ هـ / ١٤٣١ ـ ١٤٥١ م
- محمد الفاتح ٨٥٢ ـ ٨٨٢ هـ / ١٤٥١ ـ ١٤٨١ م
- البعد الإسلامي في فتح القسطنطينية
- الآثار التي ترتبت علي فتح القسطنطينية
- محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية

obeikandl.com

محمد الأول وإعادة توحيد الدولة (٨١٤ - ٨٣٣هـ/ ١٤١٣-١٤٣١م)

إذا كان أبناء "بايزيد" قد نجحوا فى إعادة توحيد الدولة العثمانية والخروج من هزيمة أنقره فإن ذلك يرجع إلى العديد من العوامل التى كانت كامنة داخل البناء العثمانى والتى ساعدتهم على سرعة العودة للاتحاد ، ويمكن توضيح هذه العوامل فى :

أولا : الإلتزام الذى بدا واضحاً من حكام آل عثمان وأمرائهم بمبادىء الإسلام إعتقادا وسلوكا سواء مع رعاياهم من السكان باختلاف أجناسهم ودياناتهم أو حتى فى سلوكهم الحربى مع الأسرى والشعوب التى خضعت لهم ، وقد كان ذلك أساس تميزيهم على القوى السياسية والاجتماعية المجاورة حيث سعت بعضها للإنضواء تحت سيطرتهم كما قللت من عوامل التمرد عليهم حتى بعد ضعف أو انتهاء هذه السيطرة فى أعقاب هزيمة أنقرة . وقد أشار المؤرخ اليونانى" فنلى" إلى مدى الاحترام الذى حظى به آل عثمان بين الشعوب الإسلامية والمسيحية على السواء وقبول هذه الشعوب لسيطرتهم بمحض إرادتهم ، وأرجع ذلك إلى حماستهم إخلاهم الأصيلة وما اتسم به النظام الإدارى الذى وضعوه وأهمه نظام القضاء فى إرساء العدل بين الرعية وكذلك نظام التعليم الذى شمل كافة الرعايا دون تفرقة [(١)] .

ثانيا: النظام الاقتصادى والاجتماعى الذى أرساه آل عثمان والمتمثل فى نظام التيمارات العسكرية – وهى الإقطاعات التى كانت تمنح للقادة العسكريين المنتصرين – حيث سعى أصحاب هذه التيمارات إلى إعادة توحيد الدولة العثمانية حفاظا على مكانتهم الاجتماعية ومكاسبهم الاقتصادية التى قد تتعرض للتهديد بسبب الغزو القادم من الشرق الإسلامى أو الغرب المسيحى ، ولا شك أن ذلك الاتجاه قد حظى

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ،ص٦١.

بتأييد القوى الاجتماعية المحلية والوافدة التى أحاطت بهذه التيمارات وارتبطت بها مصالحها إلى جانب ما نعمت به من الاستقرار والعدل ، وكذلك القوى النصرانية التى نعمت بالأمان والتسامح فى عقيدتها ومصالحها ، فبدت عوامل استمرار الدولة من الداخل مؤيدة لجهود أمرائها الذين سعوا لإعادتها من الخارج .

ثالثا : يضيف المؤرخ اليونانى " فنلى" عاملا آخر يتمثل فى تعدد الأجناس التى كانت تعيش فى البلاد الواقعة بين الإدرياتيك ونهر الدانوب وبحر إيجه، وفى نفس الوقت كانت معنويات الجنس اليونانى منهارة بسبب الضعف الذى ألم بالأمبراطورية البيزنطية وسوء إدارتها ، حيث رأى فى ذلك عوامل ساعدت على عودة العثمانيين وتلاشى نفوذ ووجود البيزنطيين .

وبشكل عام تهيأت الظروف أمام أصغر أبناء " بايزيد "(محمد الأول) ، وبعد تغلبه على أخويه سليمان وعيسى ، فى أن ينفرد وحده بالحكم (٨١٤هـ/ ١٤١٣م) ويسعى لتوحيد الدولة . ولتحقيق هذا الهدف اتخذ سياسة هادئة فى التقرب من الإمبراطور البيزنطى " مانويل الثانى" ، وفى نفس الوقت استعادت أملاك الدولة فى الأفلاق والبوسنة والمجر وبعض الإمارات داخل الأناضول ، كما قبل السيادة الإسمية على بعض إمارات الأناضول ولم تؤثر هزيمة أسطوله أمام أسطول البندقية فى الدردنيل (٨١٧هـ/١٤١٦م) . وظل إمبراطور بيزنطة يرقب الأوضاع دون أن تكون لديه القوة العسكرية التى تمكنه من " محمد الأول" وإن كان البعض قد فسر ذلك باحترامه لمواثيقه مع السلطان العثمانى مستدلين على ذلك بقبضه على بعض المطالبين بالعرش العثماني والمتمردين عليه دون أن يدفعهم لمناهضة العثمانيين إلا فى أعقاب وفاة " محمد الأول" (٨٢٢هـ/١٤٢١م) (١) .

(١) د. أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ،ص٢٢.

وقد نعم " محمد الأول" بإعجاب المؤرخين لحبه للعلم وهو ما دعاه لأن ينقل العاصمة من " أدرنة" (مدينة الغزاه) إلى " بروسة" (مدينة الفقهاء) ، كما أنه كان محباً للسلام الذى يبدو من السبب نفسه ، ولهذا اعتبره المؤرخون من أبرز الأنماط العثمانية فى الحكم فى هذه الحقبة (١) .

مراد الثانى(٨٢٢ — ٨٥٢هـ/١٤٢١-١٤٥١م)

فى الوقت الذى تولى فيه " مراد" الحكم دفع الإمبراطور البيزنطى بعض الثائرين على العثمانيين وأيدهم ، ولهذا قام " مراد الثانى " بإعادة العاصمة العثمانية إلى " أدرنة" مرة أخرى إيذانا بالاستعداد لهذه المكائد ومواصلة النشاط الحربى فى البلقان .

فمنذ الفترة الأولى لتولى " مراد الثانى" دفع الإمبراطور البيزنطى بأحد أمراء البيت العثمانى الثائرين على " مراد" وهو" دوزمه مصطفى" ومد له المساعدة ، وخرج " مصطفى " ومعه حليف آخر يدعى جنيد" بقواته من سالونيك وتمكن من الاستيلاء على البلقان ، وأنكمش الوجود العثمانى فى الأناضول أيضا بعد أن استطاع " مصطفى " أن يهزم القوات العثمانية فى معركة " سازلى دره" ويعرض الوجود العثمانى للخطر مرة ثانية بعد هزيمة أنقره(٢) . وعاد البلاط العثمانى فى أواخر عهد " مراد" ليفتح أبوابه للعلماء والمفكرين ، وظهرت المؤلفات التركية والعربية والفارسية لتساهم فى بروز طابع حضارى خاص للدولة العثمانية كان بداية لتميزهم فى هذا الميدان .

---

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ،ص٦٢.
(٢) د. أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق،ص٢٢.

محمد الفاتح)) الثانى (٨٥٥-٨٨٢هـ/١٤٥١-١٤٨١م)

ارتبط إسم " محمد الثانى" بفتح القسطنطينية حيث طغى هذا العمل على ما كان للسلطان العثمانى من أعمال أو صفات ، فقد كان هذا السلطان الشاب – الذى تولى فى سن الواحدة والعشرين – مولعاً بالثقافة قارضاً للشعر إلى جانب كونه فارساً شجاعاً ومع ذلك فإن ما أحاط بفتح القسطنطينية من شجاعة وما نتج عنه من أثر واسع على الساحة الإسلامية والنصرانية إمتد عبر القرون اللاحقة وفى شتى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية سواء فى الشرق الإسلامى أم فى الغرب النصرانى قد حظى بعناية المؤرخين عما سواه ، فيكفى هذا العمل ليجعل من صانعه معلماً تاريخياً بارزاً

ولا شك أن الأثر البالغ الذى أحاط بفتح هذه المدينة يشير إلى الأهمية البالغة لها فهى ليست كغيرها من المدن وبالتالى فإن فتحها يزيد عن كونه فتح مدينة عادية إمتلأت بها حركة التاريخ . فالمدينة هى عاصمة الكنيسة الأرثوذكسية منذ أواخر القرن الرابع الميلادى ، وعلى الرغم من عدائها وصراعها مع اتباع المذهب الكاثوليكى فى روما إلا أنها ظلت تشكل حاجزاً قوياً أمام هجمات المسلمين أو الآسيويين على أوربا الكاثوليكية .

كما أنها فى حد ذاتها – أى المدينة – تحتل موقعاً جغرافياً فريداً حيث هى ملتقى أوربا بآسيا ، وتحيطها المياه من جهات ثلاث بحيث شكّلت حاجزاً طبيعياً أسهم فى حمايتها وفى نفس الوقت منحها أهمية تجارية كبيرة إلى جانب ماتنعم به من طقس معتدل وطبيعة جذابة .

وظلت هذه المدينة محط أنظار الفاتح المسلم منذ عصر مبكر حيث حاول فتحها كل من الخليفة الأموى" معاوية بن أبى سفيان " والخليفة " سليمان بن عبد الملك" لكن المدينة استعصت عليهما لمناعتها الطبيعية وأسوارها القوية التى مكنت أهلها من حمايتها (١)

---

(١) د. عبد العزيز الشناوى: المرجع السابق، ص٦٣٩.

كما حاول العثمانيون فتحها حيث حاصرها" بايزيد الأول"و" مراد الثانى" لكن الظرف حالت دون دخولها ، وكان العثمانيون يدركون أن بقاءها فى حوزة أعدائهم يمكن أن يسهم فى ضياع ماحققوه من فتوحات فى أراضى البلقان إلى جانب أنه سيظل مصدر تهديد لوجودهم فى آسيا الصغرى برمتها ، فى حين أن فتحها سيمكنهم من إرساء دعائم دولة كبيرة لافى آسيا الصغرى وحدها بل وفى ممتلكاتهم فى أوربا أيضا ، إلى جانب المهابة التى سيضفيها سقوط هذه القلعة فى نفوس المسلمين بشكل عام والهيبة فى نفوس سكان أوربا سواء الخاضعين لسلطانهم فى شرقها أم الذين اعتادوا مساندتهم فى غربها(١) ولعل ذلك يشير إلى أن أسباب الفتح لهذه المدينة كانت هدفاً رئيسياً ارتبط ارتباطاً وثيقاً بوجود وتطور الدولة العثمانية .

أما عن السبب المباشر الذى دعا السلطان" محمد الفاتح" إلى حصارها فى بداية توليه العرش فقد تمثل فى دفع الإمبراطور البيزنطى"قسطنطين باليولوجس" لأحد الثائرين على العرش العثمانى ليستولى على العاصمة العثمانية " أدرنة " فور تولى السلطان الشاب العرش ، وأمده بالمساعدة لتحقيق هذا الغرض . ولعل هذا السبب المباشر يتصل إتصالاً واضحاً بقناعة سلاطين آل عثمان بأن استقرار دولتهم وأمانها لن يتحقق دون دخول العاصمة البيزنطية .

وقد بادر السلطان الشاب بإعداد قواته وزحف إلى " أدرنة" حيث تمكن من استعادتها بعد أن أدرك الثائرون فيها أنهم لاقبل لهم بمواجهته، واستعطفوه فأجابهم لمطلبهم فى أن يظلوا على إمارتهم تحت سلطانه . وكان عليه أن يعد العدة لإغلاق مصدر القلاقل وتأميم وجود دولته ويتهيأ لفتح القسطنطينية .

---

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق،ص٦٥.

وحين أدرك الإمبراطور البيزنطى أن الحرب مع العثمانيين واقعة لا محالة أسرع بالإستنجاد بدول أوربا،وأعلن البابا الأرثوذكسى دعوته لتوحيد الكنيستين(٨٥٦هـ/١٤٥٣م) لكن باب روما طلب فى مقابل الدفاع عن المدينة أن تخضع الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية لكنيسة روما الكاثوليكية . ومع أن الظروف السياسية التى كانت تحيط بالإمبراطور البيزنطى قد اضطرته لقبول شروط البابا الكاثوليكى إلا أن الكنيسة البيزنطية والرعايا البيزنطيين أبدوا إعتراضا على ذلك ، فقد روى عن أحدهم وهو " لوكاس نوتاراس" قوله" لأن تحكمنا فى القسطنطينية عمائم التركى أهون من أن تتحكم فينا قلانس اللاتين"(١)

وإلى جانب هذا التفكك والضعف المعنوى لسكان المدينة تقاعس الأوربيون عن مساعدتهم بسبب إنشغالهم بمشاكلهم الداخلية وربما بفعل الصراع المذهبى ، ولم يستجب لمساعدتهم سوى البابوية فى روما ثم الجينويين والبنادقة وبعض المتطوعين من فرنسا وألمانيا وإيطاليا.

أما السلطان العثمانى" محمد الفاتح" فقد أسرع بتشييد قلعة لحصار المدينة " روميللى حصار" على بعد سبعة كيلومترات منها ، وأعد جيشاً قوامه مائتان وخمسة وستون ألفا ، وسلحه تسليحاً جيداً بالمدفعية والبنادق ، وأسطول بلغ بين ثلاثمائة وأربعمائة سفينة ، وكانت القلعة مزودة بمدافع تحول دون وصول الإمدادات للعاصمة المحاصرة ، هذا إلى جانب مدفع عملاق أتى به السلطان من " أدرنة" ليضرب به المدينة أو من يحاول نجدتها .

(١) د. أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق،ص٢٥.

وقبل أن يأمر الفاتح جنده بالإتجاه صوب المدينة خطب فيهم خطبة عظيمة حثهم فيها على الجهاد فى سبيل الله مستدلاً بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ثم زحف الجيش وحاصر المدينة براً وبحراً .

وحاولت بعض سفن الجنويين والبنادقة فك الحصار البحرى ونجحت فى مسعاها فى البداية حيث ظلوا يحرسون جانباً بحرياً من العاصمة يسمى " القرن الذهبى" ثم أغلقوا مداخل المدينة بسلاسل حديدية ضخمة لتحول دون دخول السفن العثمانية إليها وكاد الأمر يدعو إلى فك الحصار كما طلب الصدر الأعظم "خليل" من السلطان (١) ، لكن السلطان الشاب أصر على نقل السفن إلى الجهة الأخرى فى القرن الذهبى فوق بكر خشبى مدهون بالشحم جرّها رجاله لمسافة عشرة أميال فى يوم وليلة وفاجأ القوات البيزنطية من البر والبحر(٢) . وحاول المدافعون عن المدينة الحيلولة دون سقوطها دون جدوى فكانت صيحات الجهاد (لا اله إلا الله محمد رسول الله) أعلى من أنات الضعف والإستغاثة ، ودخلها الفاتح وجنده فى العشرين من جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ الموافق التاسع والعشرين من مايو سنة ١٤٥٣م .

البعد الإسلامي في فتح القسطنطينية

سبقت الإشارة إلى ارتباط الوجود العثمانى منذ نشأته بالإسلام حيث عمل قادته تحت رايته ورفعوا لواءه فى كافة فتوحاتهم ، وكان فتح القسطنطينية حلقة من حلقات جهادهم الدينى ضد القوى النصرانية ، فقد كان لعلماء الدين دور بالغ فى إثارة روح

---

(١) يرى البعض أن حصار المدينة استمر أربعة وعشرين يوما فى حين يرى البعض الآخر أنه استمر ثلاثة وخمسين يوما،د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق،ص ٦٦ ، د. أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق،ص٢٦.

(٢) د. السيد الدقن: المرجع السابق،ص٣٣.

الجهاد فى نفوس الجند ، وأشاعوا بينهم العديد من الأحاديث الدينية التى ألهبت حماسهم والتى كان من بينها ما أسند إلى الشيخ " آق شمس الدين" الذى بشر السلطان بتوقيت وكيفية الفتح ، كما روى عنه منام قيل أنه رأى فيه الشيخ " أبو أيوب الأنصارى " أحد صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والذى كان قد استشهد ودفن حول القسطنطينية حين صاحب حملة عليها فى عهد " معاوية بن أبى سفيان" وحدد له فى منامه موضع دفنه وأعرب عن شكره لله على تحريره من ظلمة الكفر وهو ما يشير إلى تحقيق الفتح (١) .

هذا إلى جانب أن البيزنطيين قد سلكوا أسلوب الدعوة إلى مقاومة دينية وبالتالى فإن التجمعات التى شاركت معهم قد أخذت جانباً دينياً صليبياً وهو أمر يؤكد أن المواجهة بين الجانبيين كانت حربا مقدسة .

وبعد أن منّ الله على السلطان الشاب بفتح المدينة دخلها مترجلاً مقتدياً فى ذلك بـ" عمر بن الخطالب" رضى الله عنه حين دخل بيت المقدس بعد فتحها، وأستقبل القبلة وصلى لله شاكراً ، ثم خطب فى رجاله بادئاً بحمد الله على هذا النصر، ثم أعلن إطلاق اسم " إسلام بول" أى دار الإسلام على المدينة المفتوحة ، وحوّل أكبر كنائسها وهى كنيسة " أيا صوفيا" إلى مسجد وكذلك عدد آخر من الكنائس معوّضا أهلها عنها بأرض وبناء .

أما من حيث التعامل مع أهلها فقد تعفف عن إسترقاقهم وأبدى سياسة تتسم بالتسامح معهم تطبيقا لشريعة الإسلام ، واتخذ الإجراءات الخاصة بإعادة تنظيم المدينة وبنائها باعتبارها عاصمة الإمبراطوريته ، وشيد فيها العديد من المدارس والمكتبات والمؤسسات الخيرية . وقد أغرت هذه الإجراءات الكثير من سكانها من النصارى واليهود

(١) د. السيد الدقن : المرجع السابق،ص٣٥.

على المشاركة فى الحياة الجديدة فيها ، بل وأغرت العديد من الفارين منهم إلى العودة إليها . وأسهمت هذه السياسة كذلك فى استجلاب العديد من المسلمين للقدوم إليها والاستقرار فيها والإنتفاع بمميزاتها العلمية والتجارية ، وأصبحت المدينة بذلك مستقرا لكافة الأجناس والديانات والمذاهب ، وشارك الجميع فى صياغة إطار جديد يتسم بالتسامح الذى رفرف عليها .

ووفقا لسياسة التسامح قام السلطان بتعيين بابا للكنيسة الأرثوذكية له كل صلاحيات بابا روما دون تدخل منه كما كان يفعل الإمبراطور البيزنطى الذى كان يعتبر نفسه رئيسا للكنيسة ، وحافظ النصارى على حرياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية وتولت الكنيسة جمع الجزية المستحقة على رعاياها فى كل الإمبراطورية العثمانية ولم تستشعر أى لون من ألوان التمييز أو التعصب من جانب الحكومة المسلمة (١) ، فسمحت للرعايا اليونانيين النصارى بالتجارة الحرة ، وفتحت لهم أبواب الإستفادة منهم فى الجوانب الإدارية فى الدولة ، إلى جانب تأمينهم كبقية رعايا الدولة على كل جوانب حياتهم ، ونتج عن ذلك قدر كبير من الاستقرار السياسى والاجتماعى وكذلك الرخاء الاقتصادى .

ومن الطبيعى أن يسعى بعض المؤرخين الأوربيين إلى تشويه هذه الصورة المضيئة للحكم العثمانى بعد فتح القسطنطينية فيتهمونه بالبربرية والوحشية . ويفسرون سياسة التسامح التى سلكوها بأنها سياسة تسخير للعناصر غير المسلمة واتخاذهم كمرتزقة فى شتى نواحى الحياة ، وكذلك بحرق الكثير من المخطوطات اليونانية التى حوتها مكتبات المدينة فى العصر البيزنطى ، لكن ذلك لم يحل دون وجود بعض المؤرخين المنصفين الذين

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق،ص٦٩

openkandi.com

سجلوا أبعاد السياسة العثمانية وسواء أسندوها إلى إلتزامهم بالشريعة الإسلامية أم إلى العدالة الاجتماعية .

الآثار التى ترتبت على فتح القسطنطينية

أولا : لا شك أن ذلك الفتح العظيم قد ترك أثراً بالغاً فى نفوس العالم الإسلامى حيث كان تتويجاً لجهود تاريخية متوالية لفتح هذه المدينة سواء أمام الدعوة الإسلامية أم لكونها كانت مصدر قلق وعداء دائم للوجود الإسلامى عبر مراحلة التاريخية . ولقد بادر "محمد الفاتح" فور نجاحه فى فتحها بإرسال الوفود إلى العالم الإسلامى وجاءته وفود التهنئة من كل أرجاء هذا العالم . وخلال المرحلة التاريخية اللاحقة لفتحها وفدت إليها العديد من العناصر الإسلامية من المشرق العربى وفارس وخرسان وإفريقيا وغيرها ، وشاركت هذه العناصر مع غيرها من سكان المدينة فى صياغة طابع حضارى إسلامى ميز هذه العاصمة الإسلامية .

ثانيا : أما على الساحة الأوربية فقد كان لهذا الفتح أبلغ الأثر بشكل أسهم فى دفع عجلة التغيير فى شتى المجالات . فعلى الصعيد السياسى أدى فتح القسطنطينية إلى استنهاض القوى النصرانية المتعصبة فى الغرب الكاثوليكى إلى تشديد هجومهم على المسلمين فى الأندلس ، وتشابك هذا مع الصعيد الاقتصادى حيث إندفعوا بالعاملين معا – الدينى والاقتصادى – إلى البحث عن سبل قهر المسلمين والسيطرة على الممرات التجارية البحرية بينهم وبين الشرق التى تقع فى حوزة المسلمين وتخطوا بالعاملين كافة العقبات الجغرافية التى كانت تتمثل فيما يحيطها لديهم من جهالة واندفعوا إلى الشرق حول افريقيا كما فعل البرتغاليون وإلى أمريكا كما فعل الأسبان ، فيما عرف تجاوزاً باسم الكشوف الجغرافية .

أما على الصعيد الاجتماعى والفكرى فقد أسهمت هجرات بعض الشعوب أمام الفاتح العثمانى من شرق أوربا إلى وسطها وغربها إلى وجود العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التى استنهضت المفكرين ودعاة الإصلاح إلى البحث عن حلول ملائمة ، كما كانت هجرة بعض رجال الدين والمفكرين الأرثوذكس إلى المجتمعات الكاثولوكية قد أسهمت فى الدعوة إلى البعد عن الصراع المذهبى والسعى لإصلاح الكنيسة من جانب آخر، وأسهم ذلك كله فى إيجاد قدر من الثراء الثقافى والفكرى على الساحة الأوربية كانت فى مجملها مقدمة طبيعية لحركة النهضة الأوربية .

ولعل من هذه الآثار أيضا الدور الذى لعبه المفكرون الكاثوليك الذين عاشوا فى كنف الدولة العثمانية والذين أبدوا ضيقهم بتعاليم الكنيسة بعد أن صدمتهم الهزيمة ،وقرروا العودة إلى إحياء التراث الوثنى اليونانى والرومانى القديم والذى كان أساساً لنشأة العديد من المذاهب والتيارات اللادينية التى إمتلأت بها الساحة الأوربية خلال الفترة الزمنية اللاحقة .

محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية:

قبل أن يتجه الفاتح إلى البلقان استكمل ضم كافة إمارات آسيا الصغرى وكذلك البحر الأسود وشبه جزيرة القرم بحيث أصبحت جميعها عثمانية . أما فى المورة فكان أحد أخوى الإمبراطور البيزنطى قد أعلن عن التمرد فيها بإيعاز من بابا روما ، فزحف إليه " محمد الفاتح" بقواته واستولى على ما كان لديه من أراضى وقلاع ، وفرّ الثائر إلى البابا . وعلى جبهة البلقان وشرق أوربا استولى السلطان العثمانى على الكثير من مراكز وقلاع الجنويين ، ثم هاجم بلاد الصرب. وفى(٨٦٠هـ/١٤٥٦م) حاصر العثمانيون بلجراد ، ودعا البابا إلى سرعة تكوين حلف صليبى واستجاب القائد المجرى " هونيادى " ، وأوقع هذا

القائد خسائر كبيرة بالقوات العثمانية حيث استولى على كل مدفعيتهم ، وقتل منهم زهاء خمسة وعشرين ألفا ، وجرح السلطان " محمد الفاتح " نفسه ، لكن العثمانيين سرعان ما استعادوا قوتهم وأوقعوا الهزيمة بالنصارى وهلك القائد المجرى فى المعركة فهلكت معه جبهة مقاومة صلبة يسرت للعثمانيين ضم الصرب والبوسنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م) ، وتمسك الصرب بالنصرانية مستغلين مناخ حرية الاعتقاد الذي التزمت به الدولة فى حين أقبل الكثير من أعيان البوسنة على إعتناق الإسلام في ظل هذا المناخ أيضا .

وبقى فى البلقان " إسكندر بك" ذلك القائد الألبانى الذى كان قد اعتنق الإسلام ثم ارتد عنه ، فتزعم المقاومة فى ألبانيا ، وانضم إلى حلف يتزعمه بابا روما والبنادقة ضد العثمانيين .